محي الدين صبحي

شعر الحقيقة في عصر السقوط*

افلاطون يريد شاعرا اكثر خشونة وقسوة ، ليحافظ على صحة ارواح جنوده في الجمهورية الفاضلة ــ اي ليحافظ لهم على ادراكهم السليم لنكبة فقدان الوطن ، ويحفظ لهم وعيهم من التأثير المدوخ للشعر المزوق المصقول الذي يرش العسل على الجثث المتفسخة لقتلى الغارات الاسرائيلية . ونحن لا نذهب بعيدا في هذا التأويل ، فلدينا من افلاطون نص آخر يؤيد تفسيرنا ويوضح ما شرعه مُعين بسيسو في شعره :

ــ « نحن على استعداد لنعترف بان هومر اعظم الشعراء واول كتاب المأساة ، ولكن لا بد ان نظل على موقفنا الحازم من الاقتناع بأن تمجيد الآلهة والثناء على مشاهير الرجال هما الشعر الوحيد الذي يجب ان يسمح به في دولتنا ، لانها اذا تجاوزت هذا وسمحت للآلهة المعسولة اللسان ان تدخل ، سواء في الملحمة او الشعر الغنائي ، فلن يسود في دولتنا القانون وتعقل الجنس البشري ، اللذان لم يحظيا قط بأفضل مما نالا من اجماع عام لدينا ، وانما ستسود اللذة والالم ....

ولكن لعل الآلهة لا تعزو الينا اي فظاظة او نقص في التهذيب ، اذا أخبرناها بوجود خصام قديم بين الفلسفة والشعر » ــ (الجمهورية ١٠ ، ٦٠٧) .

قد يسامحنا افلاطون اذا وضعنا بدلا من « تمجيد الآلهة » مصطلح « تمجيد الوطن » . فبهذا التعديل تنطابق شرعتا الفيلسوف القديم والشاعر الحديث ضد « الآلهة المعسولة اللسان » ، لان هدفهما مشترك : « التعقل » عند افلاطون مرادف « للتوعية » عند معين بسيسو ، وكلاهما هدف الشعر .

التقى الشاعر بالفيلسوف لان هدف الفيلسوف كان اقامة دولة فاضلة وهدف الشاعر استعادة وطن مسلوب . فوظيفة الشعر في الحالتين ان يكون سلاحا في معركة التوعية . وحين تكون التوعية هدف الشعر لا تعود اللذة او الالم غرضا للاثارة . وشعر التوعية هو شعر الحقيقة العارية الفجة ، اي هو شعر الحكمة ، « الفلسفة » بمعناها الاصلي . وهو بالتالي خصم لدود للشعر المعسول الكلمات وخالق الاوهام .

* نشر القسم الاول من هذه الدراسة في العدد السابق .